

أبنية وأصوات

الدكتور ابراهيم السامرائي

جامعة بغداد - كلية الاداب

لابد للباحث في العربية التاريخية واصواتها القديمة من فحص مواد التي يقوم عليها بحثه . وهذه المواد التي يصح ان تكون الاصول الاولى للعربية هي كلام الله في قرآنه . ولا اريد ان أدخل في مشكلة نصوص العربية القديمة في الاحقاب التي سبقت الاسلام . ان لغة الشعر الجاهلي لا يمكن ان تعطي الباحث الوثائق التاريخية التي يهتدى بها الى العربية القديمة في الوانها ولغاتنا المختلفة . ولا اريد ان أدخل في مسألة انتقال هذا الشعر وما عرض له بسبب الرواة خلال القرون التي اعقبت ظهور الدعوة الاسلامية . ولا اريد ان اعرض كذلك لهذه اللغة الفصيحة المهدبة التي تشعر الباحث ان اصحابها من طينة واحدة ومن بيئة واحدة .

وبسبب من هذه الخيرة في بيئة قديمة لا يهتدى السالك فيها الا الى ظلمة يعسر الخروج منها ، لابد من اتخاذ العربية في كتاب الله العزيز المادة التي انظر منها الى تاريخ هذه اللغة وكيف انتهت الى ما نسميه العربية الفصيحة .

مازال الموضوع مفتقرا الى شيء من بحث جديد بالرغم من كثرة الدراسات التي تناولت القرآن . لقد غنى الأقدمون بكتاب الله حتى آلت عنايتهم الى ما سمي بـ (علوم القرآن) ثم غنى الاعاجم من المستشرقين بالموضوع نفسه عناية فائقة ونظروا الى القرآن نظرة تبتعد عن نظرات المسلمين ، وانتهت جهودهم الى نتائج ترضى العلم حينا وتبتعد عنه حينا آخر . ولا يهمني هذا الامر فقد تصدى للحملات التي شنت على الاسلام عامة كثير من المسلمين وغيرهم . ولكن فوائد كثيرة حصلت ضمن مباحث

هؤلاء وهؤلاء • وهي ولا شك ما زالت مفتقرة الى نتائج اخرى •

ان مشكلة آي القرآن في سورة المعروفة مشكلة كبيرة ، فقد تم جمع اول في خلافة ابي بكر ، وقام به زيد بن ثابت بمشورة من عمر بن الخطاب الذي احتج بأن جمعا من القراء قد قتلوا في يوم اليمامة وخشي ان يذهب عدد « ان استمر القتل بالقراء في المواطن • ثم تهيأ لكتاب الله الكريم ان يجمع في خلافة عثمان ، وقد ندب عثمان لهذه المهمة ثلاثة من اكابر القراء من المكيين وهم عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وواحد من المدنيين وهو زيد بن ثابت • وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه انما نزل بلسانهم» (١) •

والذي نعرفه ان في القرآن لغات عدة غير لسان قريش ولا ادى في حاجة الى التدليل على هذا ، فكتب القرآن وتفسيره تؤيد هذا •

ولقد استبعد في جمع القرآن مصحف عبد الله بن مسعود وهو اشهر القراء وقد سمع من رسول الله ، وقد جاء في الاخبار ان الرسول كان يطريه ويوقرده ويقربه منه ويؤيده فيما يأخذ عنه (٢) وقد تهيأ لهذه الجماعة ان جمعت المصحف العثماني الامام وقد اتى هذا العمل العظيم على الاضطراب الذي اوشك ان يختلف فيه المسلمون «ويكفر بعضهم بعضا» (٣) •

ثم كانت القراءات وكان حديث الرسول المشهور في الاحرف السبعة « ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه » • وكثر الكلام في الاحرف السبعة وما تؤدي اليه (٤) •

ولم تكن عملية الجمع التي ادت الى المصحف العثماني بمبعدة للمصاحف الاخرى فقد ظل مصحف عبد الله بن مسعود ومصحف أبي بن

كعب • وقد ابى عبد الله بن مسعود ان يحرق مصحفه أول الامر وحمل على مصحف عثمان ، وعرض يزيد بن ثابت الذي كان في صلب أبيه حين اعتنق هو الاسلام • وان زيدا كان يلعب مع الصبية حين كان هو يحفظ بعضا وسبعين سورة اخذها كلها من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥)

ومن الطبيعي ان يكون في مصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب ما يبعد عما في مصحف عثمان • غير ان العملية تمت واحرق ابن مسعود مصحفه ، وكأن مصحف عثمان كتبت له السيورة • غير ان شيئا لم تقض عليه عملية المصحف العثماني وهو القراءات الكثيرة وسنأتي على هذا الموضوع •

يكرر المعنيون بالدراسات القرآنية ان القرآن جاء بلسان قريش وهذه مقولة لانجد لها مكانا واضحا يحققه البحث العلمي • لقد ذهب نهر من اللغويين القدامى الى ان المراد بالاحرف السبعة لغات معينة هي لغات قريش ، وهذيل وتميم ، والأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر (٦) وذهب آخرون الى ان المراد بها لغات قبائل مضر خاصة وهي : هذيل ، وكنانة ، وتيمم الرباب ، واسد بن خزيمه ، وقريش (٧) والذي نعرفه ان في القرآن من لغات القبائل الاخرى مادة كبيرة ، فقد احصى ابو بكر الواسطي منها اربعين لغة في كتابه «الارشاد في القراءات العشر» (٨) وضرب أمثلة كثيرة ونماذج مفيدة عرض لها السيوطي في «الاتقان» (٩) •

ويبدو لنا من هذه النصوص ان مسألة « لسان قريش » ينبغي ألا نأخذها مأخذاً ثابتاً ، فقد جاء في البرهان على لسان ابي عمر بن عبد البر الذي قال : «وانكر آخرون كون كل لغات مضر في القرآن ، لان فيها شواذ لا يقرأ بها مثل كشكشة قيس وعننة تميم وهذه لغات يرغب بالقرآن عنها» (١٠) •

وقد استبعد ابن عبد البر ان يكون معنى «سبعة أحرف» سبع لغات فقال : (لانه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض اول الامر ، لان ذلك من لغته التي طبع عليها • وايضا فان عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي ، وقد اختلفت قراءتهما ومحال ان ينكر عليه عمر لغته) •

وقد عني اللغويون الاوائل عناية فائقة بمادة «اللغات» عامة وبلغات القرآن خاصة والذي نعرفه ان ليونس بن حبيب (المتوفى سنة ١٥٢ او ١٨٢ هـ) «كتاب اللغات» وللغراء (المتوفى سنة ٢٠٧ هـ) وابى عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢١٠ هـ) وابى زيد الانصاري (المتوفى سنة ٢١٤) كتبوا في «اللغات» ولا يبي زيد ايضا كتاب في «لغات القرآن» وقد نسب الى الاصمعي (المتوفى سنة ٢١٦ هـ) «كتاب اللغات ومثل ذلك قد نسب الى ابن دريد (المتوفى سنة ٢٢٣ هـ) • اما في «لغات القرآن» فمنه كتاب «ما ورد في القرآن من لغات القبائل» لابي عبيد القاسم بن سلام الهروي (المتوفى سنة ٢٢٣ هـ) و«كتاب اللغات في القرآن الكريم» رواية اسماعيل بن عمرو بن حنون المقرئ (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) عن ابن عباس ، و«كتاب اللغات» لابن بري (المتوفى سنة ٥٨٢ هـ) •

وقد وصل الينا من هذه المصنفات رسالتان احدهما رسالة ابي عبيد القاسم بن سلام « فيما ورد في القرآن من لغات القبائل » وقد طبعت على هامش كتاب التيسير في علم التفسير ، للدرييني سنة ١٣٠١ هـ ، وأعيد طبعها على هامش تفسير الجلالين سنة ١٣٥٦ • والرسالة الثانية هي «كتاب اللغات في القرآن» رواية اسماعيل بن عمرو بن حنون المقرئ عن ابن عباس ، وقد طبعت بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد مرتين الاولى عام ١٩٤٦ م والثانية عام ١٩٧٢ م •

ولقد حفلت معجمات العربية بمادة اللغات ، وربما كانت «الجمهرة»

مكتبتنا العربية

من اهم المصادر فيما ينسب في العربية الى لغات اليمن •

واهتمام اللغويين باللغات التي وردت في المصحف والاتساع في الفراءات يشعرونا ان مسألة مجيء النص القرآني بلسان قريش شيء لا نستطيع ان نطمئن اليه كثيرا وقد اهتم بجمع القرآن ابو بكر وعمر وعثمان وأيدهم علي بن ابي طالب فهو القائل «رحم الله ابا بكر ، هو اول من جمع كتاب الله بين اللوحين»^(١١) وقد جاء في «الاتقان» ان سعيد بن غفلة قال : قال علي : لاتقولوا في عثمان الا خيرا فوالله ما فعل في المصاحف الا عن ملأ منا^(١٢) وقال ايضا « لو وليت ما ولى عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل»^(١٣) وكان هؤلاء الائمة الكبار قد أحسوا ان المسلمين سيختلفون اختلافا كبيرا في كتاب الله يوشك ان يؤدي الى شر عظيم فعمدوا الى جمعه وحفظه • وقد دأبوا على مقولتهم المشهورة ان كتاب الله انزل بلسان قريش وذلك ليكون المسلمون اجماعا عليه خشية ان تتفرق كلمتهم الى شيع واحزاب •

ان عمر كان ينظر الى هذا الهدف حين «سمع رجلا يقرأ في قوله تعالى : «ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين»^(١٤) فقال : من اقرأك ؟ قال ابن مسعود • فكتب اليه : ان الله أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش ، فاقريء الناس بلغة قريش ولا تقرأهم بلغة هذا بل • والسلام^(١٥) ويبدو ان حرص عمر بن الخطاب على كلام الله وحرص سائر الخلفاء ابي بكر وعثمان وعلي على الموضوع نفسه جعلهم يتشبثون بهذه المقولة ليعيدوا الالسنه المختلفة المتعددة على آي القرآن ، والا نجد طرائق في التعبير سبيلها الى كلام الله حفاظا على وحدة المسلمين وجمعا لشملهم •

ولقد ظل هذا ديدن الحاكمين وأولى الامر في المجتمع الاسلامي دهرًا طويلا • ومن اجل ذلك نرى ابن شنبوذ ممن اصحاب الفراءات

واشتهر ببغداد في أنه يقرئ الناس ويقرأ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف عما يروي عن عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما مما كان يقرأ به قبل جمع المصحف الذي جمعه عثمان بن عفان • يتبع (الشواذ) فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وانكره الناس • فوجه السلطان فقبض عليه يوم السبت لست خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، وحمل الى دار الوزير محمد بن علي - يعني ابن مقله - واحضر القضاة والفقهاء والقراء وناظره - يعني الوزير - بحضرتهم فأقام على ما ذكر عنه ونصره واستنزله الوزير فأبى ان ينزل عنه ••••• فضرب بالدرة على قفاه ضربا شديدا •• (١٦) معانه من الثقات في القراءات • ومن المعلوم ان ابن شنبوذ هذا كان لا يرتضى صنع أبي بكر بن مجاهد من شيوخ الاقراء في عصره ، فلقد صنف هذا القراءات في سبع واشتهرت هذه القراءات السبع • وهذا يعني ان طرائق القراءات المختلفة بقيت معروفة يتداولها المقرئون بحيث اضطر ابن مجاهد الى صنيعه هذا فأقره اولو الامر وشاعت السبع (١٧) • ويبدو ان طرائق القراءة قد تجاوزت هذه السبع المشهورة فكتبوا المصنفات في العشر منها (١٨) ثم كتبوا في القراءات الاثنى عشرة • ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد نشط اللغويون القدماء فكتبوا المصنفات في الشواذ من القراءات كما فعل ابن خالويه (١٩) وابن جني (٢٠) ، فقد كان للاول كتاب « مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع » وللثاني كتاب « المحتسب » في القراءات الشواذ • لقد اهتم اللغويون بهذه القراءات التي اطلق عليها ، الشواذ ، اهتماما كبيرا • وكأنها سميت الشواذ لابتعادها عن القراءات المشهورة السبع او العشر • ولكنها من غير شك قراءات صحيحة عني بها جماعة من العلماء الثقات • وهذا يعني ان اللغويين لم يأنهوا بما يحرص عليه اولو الامر من وجوب التمسك بعدد قليل من القراءات •

يقول ابن جنى في « المحتسب » : « ضربين » ، ضربا اجتمع عليه اكثر قراء الامصار ، وهو ما اودعه ابو بكر احمد بن موسى بن مجاهد (٢١) رحمة الله كتابه الموسوم بقراءات السبعة ، وهو شهرته غان عن تعدده . وضربا تعدى ذلك ، فسماه أهل زماننا شاذا ، اي خارجا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها ، الا انه مع خروجه عنها نازع بالثقة الى قرائه ، محفوف بالروايات من امامه وورائه ، ولعله ، أو كثيرا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه . نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعتيه وتعنف بغيره فصاحته ، وتمطوه قوى اسبابه ، وترسو به قدم اعرابه ، ولذلك قرأ بكثير منه من جاذب ابن مجاهد عنان القول فيه ، وما كنه عليه ، ووراده اليه ، كأبي الحسن محمد بن احمد بن شنبوذ ، وأبي بكر محمد بن مقسم (٢٢) وغيرهما ممن ادى الى رواية استقواها ، وانحى على صناعة من الاعراب رضيها واستعلاها . ولست نقول ذلك فسحا بخلاف القراء المجتمع في اهل الامصار على قراءاتهم ، أو تسويغا للعدول عما اقرته الثقات عنهم لكن غرضنا منه ان نرى وجه قوة ما يسمى الان شاذا ، وانه ضارب في صحة الرواية بجرائه ، اخذ من سمت العربية مهلة غير ميدانية لئلا يرى مرمى (٢٣) ان العدول عنه انما هو غض منه أو تهمة له .

ومعاذ الله : وكيف هذا والرواية تنميه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه » (٢٤) وهذا حكم عام في المعاني والالفاظ ، واخذه هو الاخذ به ، فكيف يسوغ مع ذلك ان نرفضه ونجتنبه ، فان قصر شيء منه عن بلوغه الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلن يقصر عن وجه من الاعراب داع الى الفسحة والاسهاب ، الا اننا ولم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه وتتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية ، فاننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا ، وانه مما امر الله تعالى بتقبله واراد منا العمل بموجبه ، وانه حبيب اليه ، ويرضى من

القول لديه • نعم واكثر ما فيه ان يكون غيره من المجتمع عندهم عليه اقوى منه اعرابا وانهض قياسا ، اذ هما جميعا مرويان مسندان الى السلف (رضي الله عنهم) فان كان هذا قادحا فيه ، ومانعا من الاخذ به فليكونن ما ضعف اعرابه مما قرأ بعض السبعة به هذه حاله ونحن نعلم مع ذلك ضعف قراءة ابن كثير (٢٥) «ضياء» (٢٦) بهمزتين مكتنفتي الالف ، وقراءة ابن عامر (٢٧) : «وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم» وسنذكر هذا ونحوه في مواضعه متصلا بغيره ، وهو مع ذلك مأخوذ به (٢٨) •

ويتبين مما ذكره ابو الفتح في فاتحة «المحتسب» ان ما يدعى من القراءات شاذا هو وجه قوي من القراءة ، وهو جدير بالوقوف عنده والاخذ به على انه معبر عن طريقة في الاداء لجماعة من الناس • وان اصحاب هذه الشواذ من ثقات العلماء رواية ودراية •

وابن جني لغوي ضليع ، وهو بسبب من ذلك ينظر الى الدقائق اللغوية في القراءة ولا يتجنب الوقوف على كل وجه من وجوه هذه الالوان الشاذة لاشتمالها على حقائق لغوية تتصل بلغة الناس •

ومما يؤيد هذا الذي اذهب اليه انه عقد بابا في «الخصائص» - عن « اختلاف اللغات وكلها حجة » تكلم فيه على اللغات والمفاضلة بينهما ، فذهب الى ان « اللغتين اذا كانتا في الاستعمال والقياس متدائيتين متراسلتين فليس اك ان ترد احدى اللغتين بصاحبتهما ، لانها ليست احق بذلك من رسلتها ، لكن غاية ما لك في ذلك ان تتخير احدهما فتقويها على آخرها ، وتعتقد ان اقوى القياسين اقبل لها واشد أنسابها ، فأما رد احدهما بالآخرى فلا • او لا ترى قول النبي صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف» (٢٩) وعرض ابن جني للقياس في اللغات الضعيفة ، او القليلة الرواية ، فذهب الى انه يأخذ باوسع اللغتين

رواية واقواهما قياسا ، واتخذ من الغنعة والكسكسة ، والتلتلة ، والكشكشة والتضجع ، ونحو ذلك امثلة على ذلك ولكنه استدرك فقال : « وكيف تصرفت الحال ، فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء » ، وان كان غير ما جاء به خيرا منه » (٣٠) ولعل القراءات ولا سيما ما اطلق عليها شواذ من اوضح الامثلة التي يستدل بها على ان العربية لم تكتمل في لونها الفصح الموروث الا بعد زمان طويل من ظهور الاسلام ، وبعد عمل جاد من اللغويين والنحاة يدفعهم الى ذلك حرص الحاكمين على الحفاظ على نمط عال من الفصاحة جمع من قبائل معينة ، فاستحسن لغات تلك القبائل كما استبعدت لغات قبائل اخرى .

جاء في المزهري للسيوطي نقلا عن كتاب « الالفاظ والحروف للفارابي » : « والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعندهم اخذ اللسان العربي بين قبائل العرب هم : قيس وتميم واسد ، فان هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما اخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم » (٣١) .

ثم يبين القبائل التي استبعدها اللغويون العرب فيقول : « وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم ، فانه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ولا من قضاة وغسان وايباد لمجاورتهم اهل الشام ، واكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية (٣٢) ولا من تغلب والنمر ، فأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للبط والفرس ، ولا من اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة

مكتبتنا العربية

صادفهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت
الستهم (٣٣) •

غير ان اللغويين لم يطرحوا اللغات التي استبعدوا الاخذ عنها بل
راحوا على العكس من ذلك يسجلون نماذج هذه اللغات وخصائصها وعيوبها
وكتبوا فيها المصنفات ومن ذلك •

١ - كتاب لحن العوام المنسوب الى علي بن حمزة الكسائي (المتوفى
١٨٩ هـ) وهي رسالة صغيرة نشرها عبد العزيز الميمني سنة ١٣٨٧ هـ •

٢ - لحن العامة لابي زكريا الفراء (المتوفى ٢٠٧ هـ) •

٣ - ما يلحن فيه العامة لابي عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى ٢١٠ هـ) •

٤ - ما يلحن فيه العامة للاصمعي (المتوفى ٢١٦ هـ) •

٥ - ما خالفت فيه العامة لغات العرب لابي عبيد القاسم بن سلام

(المتوفى ٢٢٣ هـ) •

٦ - ما يلحن فيه العامة لابي نصر احمد بن حاتم (المتوفى ٢٣١ هـ) •

٨ - اصلاح المنطق لابي السكيت (المتوفى ٢٤٤ هـ) وقد نشره

عبد السلام محمد هارون •

٨ - الفصيح لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب (المتوفى ٢٩١ هـ)

وقد نشره ، ج بارث (G. Barth) في ليزج سنة ١٩٧٦ م ، ثم

نشره محمد عبد المنعم خفاجي بمصر ١٩٤٩ م وقد حظي هذا الكتاب

باهتمام نفر من اللغويين الاقدمين فشرحوه واستدركوا عليه كما عرضوا

لوهم ثعلب فيه •

٩ - لحن العوام لابي بكر الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ ، حققه

الدكتور رمضان عبد التواب وصدر سنة ١٩٦٤ ، كما حققه الدكتور

عبد العزيز مطر بعنوان «لحن العامة» وصدر في الكويت سنة ١٩٦٨ م •

١٠ - تثقيف اللسان وتنقيح الجنان لابي حفص همر بن خلف بن مكي الصقلي (المتوفى سنة ٥٠١ هـ) وحققه الدكتور عبدالعزيز مطر ونشر عام ١٩٦٦ م .

١١ - تقويم اللسان لعبدالرحمن بن الجوزي (المتوفى ٥٩٧ هـ) وقد حققه الدكتور عبد العزيز مطر وصدر عام ١٩٦٦ م ولا ننسى ان معجمات العربية وكتب التفسير قد اشارت الى كثير من اللغات الخاصة والان لا بد ان نرجع الى نصوص العربية لنرى هذه اللغات المتباعدة عن الفصحى المشهورة واين وجدت ؟ ومن اولئك الذين باشروا بها في سلوكهم اللغوي ؟ من غير شك ان الشعر القديم يعيد كل البعد عن هذه الالوان اللغوية سواء في ذلك الشعر الجاهلي والشعر الاسلامي فلا يكاد الدارس يعثر فيه على نماذج لغوية خاصة . وهذه الظاهرة تحفزنا الى النظر في طريقة رواية الشعر وجمعه ومن قام بهذه المهمة العسيرة ، وللإجابة عن هذه التساؤلات نقول : ان اللغويين والنحاة الاوائل في القرن الثاني الهجري وفي القرن الثالث اهتموا برواية الشعر وجمعه ، واتخذوا طرائق صارمة في نقد الشعر والعناية به . واجمعوا على موازين دقيقة في تخير الفصح . واكبر الظن انهم اهتموا من هذه النصوص ما لم يتفق وما قرروه من ضوابط وقواعد . وبسبب من هذا خلا ديوان الشعر العربي القديم من نماذج تفصح عن اللغات التي استبعدوها لبعدها عن حيـز الفصاحة الذي رسموه . .

غير اننا نجد في مواد القراءات شيئا من عناصر هذه اللغات المستبعدة . ولعل السبب في ذلك ان جمهرة المعنيين بالقراءات لم يسلكوا في صنف اللغويين النقاد . ومن اجل ذلك واجه النحاة اللغويون نماذج من الوان القراءة بحيرة انتهوا منها الى طريقتهم الخاصة فتأولوا ما لم ينسجم مع القاعدة النحوية او القاعدة اللغوية . وربما تشدد نفر من النحاة فحمل

وجها من وجوه القراءة على الخطأ كقراءة نافع في قوله تعالى :
(وجعلنا لكم فيها معاش) (٣٤) وأكثر القراء على ترك الهمز
في « معاش » وجميع النحويين البصريين يزعمون ان همزها خطأ (٣٥) وهذا
يعني انهم خطأوا نافعاً ونافع احد السبعة وقراءته عالية • ولعل النحاة لم
يكثروا من الاستشهاد بالقرآن - وهم على خطأ كبير - بسبب من ان
اصحاب القراءات لم يكونوا من المتضلعين بالعربية • ومن المفيد ان نرجع
الى ألوان من القراءات الشاذة تتخير منها ما يتصل بمادة هذه اللغات التي
تجافاها اللغويون فبقيت في هذه لا يعرفها الا الدارسون الذين يتحرون
تاريخ هذه اللغة • وقد يعجب الدارس ايما عجب انه لا يرى هذه
« الغرائب » اللغوية الا في هذه القراءات وفي شذرات لغوية اخرى •

وقد يعجب الدارس ان يرى ائمة الفصاحة يباشرون الوانا من النطق
والتعبير تبدو غريبة في المتعارف الموروث • لقد جاء في شواذ سورة الفاتحة من
« مختصر » ابن خالويه : « ذكر الخليل بن احمد في « العين » ان امير
المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان يقرأ : واياك نستعين
« يشبع الضمة في النون وكان عربيا قلبا اي محصنا • قال ابن خالويه : وقد
روي عن ورش اية كان يقرأها كذلك » (٣٦)

واريد ان اقف على تعليق الخليل بن احمد على قراءة علي بن ابي
طالب التي اشبع فيها نون « نستعين » فأقول : كأن الخليل اراد ان يقول ان ما عد
شاذاً من وجوه القراءة هو عربي فصيح جرى على لسان افصح الناس بعد
رسول الله وهو علي ابن ابي طالب وهنا تبطل حجة المتقنين من القراءات
الشاذة والزارين عليها في قولهم : ان جل اصحاب القراءات هم من الاعاجم
الذين يفتقرون الى السليقة العربية • ومن اجل ذلك عابوا على الحسن
البصري نماذج من القراءات وحملت على الخطأ كقراءته « وما تنزلت به
اشياطون » (٣٧) وقراءته : صاى بدلا من ص (٣٨) • ومن المعروف ان الحسن

البصري لم يكن عربيا أصالة مع انه ثقف العربية وتضلع منها بحيث ان أبا عمرو بن العلاء ورؤبة بن العجاج قد شهدا بفصاحته وانه يملك من التصرف بالعربية قدرا فقد ذكر الجاحظ « وقد زعم رؤبة بن العجاج (٣٩) وابو عمرو بن العلاء انهما لم يريا قرويين أفصح من الحسن والحجاج »
 وقرأ الحسن البصري ورؤبة بن العجاج : الحمد لله بكسر الحمد وتوجيه القراءة ان المجاورة سوغت هذا . وكما اتبعت كسرة الدال لكسرة اللام جرى اتباع آخر من نوع آخر فقد قرأ ابراهيم بن ابي عبله الحمد لله بضم الدال واللام وهو شيء من غرائب هذه القراءات الشاذة وقرأ ايوب السخيتاني : ولا الضالين بالهمز وهو من هذه الغرائب التي تجاقتها العربية الفصيحة التي ورثناها عن قدامى اللغويين والنحاة .

من شواذ سورة البقرة مما جاء في مختصر ابن خالويه

اجتزىء من هذه الشواذ بالقدر الذي يكشف عن الوان وغرائب لغوية مما يتصل باللغات الخاصة بذلك ان ما اشتملت عليه هذه الشواذ امور كثيرة بعضها شيء يتصل بالنحو لا ينسجم والوجوه النحوية المشهورة فلا يتوصل اليه الا ان يتأول تأولا قريبا او بعيدا . وبعضها صرفي يتعد عن الابنية المشهورة في العربية . وبعضها مسائل تتصل بـ (اصوات العربية) وفي هذه المسألة الاخيرة شيء خاص هو ان الانتقال من صوت الى صوت يسوغه مخرج الصوت وحيزه . كالتحول من الحاء الى الهاء او من الهمزة الى العين او من الدال الى الدال . وقد يكون التحول بسبب لا يتصل بقرب المخرج قال تعالى : «وبالآخرة هم يوقنون» الآية ٤

بالهمزة وهي قراءة ابي حنيفة النميري

اقول ان همز الفعل «يوقنون» في الآية المذكورة يشعر ان ماضيه

«اقن» وليس هذا صحيحا .

مكتبتنا العربية

وقال تعالى : ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى
أبصارهم غشاوة» الآية ٧ بكسر الغين من «غشاوة» كما هي في القراءات
المشهورة العالية وبالرفع •

وقد وردت منصوبة في قراءة عاصم • وهي بضم الغين مع الرفع
في قراءة الحسن وهي غشوة على فعلة بضم الغين مع النصب وهي قراءة
سفيان وابو رجاء وهي غشاوة بفتح الغين مع النصب في قراءة الحسن أيضا
وهي «غشاوة» بالعين المهملة المفتوحة مع الرفع ، وهي قراءة طاووس •

وبين صوتي الغين والعين ابدال كثير في آي القرآن ، وفي العربية
مادة كبيرة من هذا الباب • ووجه القول فيها ان مسوخ هذا الابدال الصوتي
قرب مخرجي العين والغين • وسنرى في آي القرآن أمثلة كافية من هذا
النوع من الابدال الهوتي وقال تعالى : « انما نحن مستهزون » الآية ١٤
غير همز وهي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع ، وهو معروف في
أصحاب القراءات المشهورة • والذي نعرفه في علم اللغة ان الفعل
«استهزأت» مهموز دائما ولا تسهل هذه الهمزة الا اضطرارا كأن تقع
الكلمة في حشو الشعر وهمزها يقدح في وزن البيت ، أو ان تكون الهمزة
غير مستحسنة من الناحية الصوتية كما في قوله تعالى : « واتخذوا آياتي
ورسلي هزوا » سورة الكهف الآية ١٠٦ وقد وردت الكلمة في احدى
عشر آية من سورة مختلفة كلها بتسهيل الهمزة • وهذا يعني ان التسهيل
قد استحسّن ، ولعله أكرم وقعا على الاذن من الكلمة • ومن المعلوم ان
القراءة بالهمز جائزة لانها صحيحة في العربية •

غير ان تسهيل الهمز وان أثر عن اللغة القرشية الا ان اللغة
الفصيحة التزمت الهمز وبه جاءت لغة التنزيل • ومن المعلوم ان العربية
المحكية في الاقاليم منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا لا تلتزم الهمز الا
ان كانت الكلمة مبدوءة بهمزة نحو : أكل وأخذ • على ان طائفة من

الكلمات المهموزة الغاء تسهل فيها الهمزة في اللغات الدارجة فلا يقال أنب بل يقال ولف ولا يقال « ألم » في قرى العراق بل يقال « ولم » وقال تعالى : « من الصواعق خدر الموت » الآية ١٩ كما هي في القراءات المشهورة وقرأ الحسن « من الصواعق » والصواعق جمع صاقعة على القلب والقلب في العربية ظاهرة واضحة أفرد لها اللغويون مصنفات خاصة كقولهم جذب وجذب ، ومسرح ومرسح وهو كثير جدا . غير ان الراجح هو ان الكلمة لها صورة مشهورة عرفت بها وشاعت أما الصورة المقلوبة الأخرى فهي من اللغات الخاصة والدليل على ذلك ان القلب شائع في اللهجات العربية الحديثة بالنسبة الى الكلمات الفصيحة .

وقال تعالى : « يكاد البرق يخطف أبصارهم » ، الآية ٢٠ بفتح الطاء وهو القراءة المشهورة ، الا ان الأعمش وهو من كبار القراء قرأ « يخطف » بكسر الياء والخاء والطاء وتشديدها . ان مجيء القراءة بهذا الشكل الغريب يزود الدارس ببناء من «أينية» الأفعال لا تعرفه العربية .

ونقرأ أيضا « يخطف » بفتح الياء والخاء وكسر الطاء وتشديدها وهو بناء غريب اخر لا تعرفه العربية . وحكى الفراء عن بعضهم يخطف بفتح الياء وكسر الخاء والتشديد .

ومن المناسب ان نقول ان الفراء حكى عن « بعضهم » أي ان « بعضهم » هذا كان يقرأ في طريقته التي ألفها وبشرها . وربما كان « بعضهم » هذا أكثر من واحد . وهو وان كان واحدا فلا بد أن يكون قد نطق بلغة بيئته ومن خالطهم من أهله وعشيرته . ثم ان رواية الفراء لهذه القراءة وهو من اللغويين النحاة ورأس أهل الكوفة في النحو واللغة ومن المعنيين بـ « القرآن » ذات قيمة تاريخية كبيرة . وهو بناء غريب بعيد عن فصيح العربية . ومن أهل المدينة من قرأ « يخطف » باسكان الخاء

والتشديد في الطاء مع كسرها • وهذا بناء أغرب من الابنية المتقدمة لما يعرض لها من صعوبة النطق • ان نسبة هذه القراءة لاهل المدينة تعضي شيئاً يند عن قراءة « نافع » ومعنى ذلك ان المؤلف السابق من ألوان التعبير والاداء وجد سبيله الى قراءات القرآن •

قال تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا » الآية ٣٤ ان « الملائكة » مجرورة باللام وقد وردت في قراءة أبي جعفر بضم التاء ، فكان حرف الجر لا عمل له • وهو أمر غريب •

قال تعالى : « واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » الآية ٤٨ فرئت « تجزى » بفتح التاء والهمزة ذكره أبو حاتم السجستاني •

قال تعالى : « وهو على كل شيء عليم » الآية ٢٩ قرأ ابن عامر « هو » بتشديد الواو ، ذكر القراءة الاخفش • وتشد الواو في الضمير « هو » من لحن العامة كما هو معروف • وابن عامر أحد السبعة ومقرء أهل الشام •

قال تعالى : « ولا تقربوا هذه الشجرة » الآية ٣٥ قرأ يحيى بن وثاب « ولا تقربا » بكسر التاء • وقرأ ابو السمال ، الشجرة بكسر الشين وحكى أبو زيد أنها قرئت « هذه الشجرة » بكسر الشين والياء • وهذه القراءة الاخيرة تذكر بالشاهد اللغوي المشهور :

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فلا جادكن الله من شيرات (٤١)
والبيت لام الهيثم •

ومن المعلوم ان هذه القراءات تتفق وما هو جار في لحن العامة •

قال تعالى : « واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » الآية ٦٣ قرأ يحيى بن

وثاب « وادكروا » بالذال المهملة المشددة • وفي هذه القراءة مسألة صوتية تتصل بادغام الذال وهو الصوت الاصلي بالثاء التي تحولت الى دال مهملة متجاوزة الذال ثم ادغمت الذال في الدال فصارت دالا مشددة • ويجوز أن تقرأ سيرا مع قراءة يحيى بن وثاب المشددة « واذكر » وذلك في ان الادغام يحصل بين الدال التي جاءت من ثاء « افعل » والذال الاصلية وهي فاء الفعل •

قال تعالى : (واخذتكم الصاعقة) الآية ٥٥ وقرأ علي بن ابي طالب « واخذتكم الصعقة » ومجيء هذه القراءة العامة مسندة الى علي بن ابي طالب وهو أعلم الناس بكتاب الله ذو قيمة تاريخية مهمة • ثم ان خروج هذه القراءة العالية عما هو معروف من القراءات المشهورة يفيد فائدة كبيرة في ان ما حمل على الشواذ ذو قيمة كبيرة •

قال تعالى : « فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقتائها وفومها ... » الآية ٦١ •

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس « وثومها » بالثاء ومن هنا نعرف ان المسألة الصوتية حولت « الثوم » الى « فوم » وذلك للقراءة الصوتية في ان من عناصر حيز الثاء والفاء هو الشفة • واذا عرفنا هذه المسألة الصوتية أدركنا ان تفسير « الفوم » بـ « الحنطة » كما ورد في كتب المفسرين خطأ محض • وقد ذكر الزمخشري في « الكشف » (١) قراءة ابن مسعود واخذ بها فقال والثوم للعدس والبصل (في الآية) أوفق •

قال تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ... » الآية ٦٢ وقرأ عبدالرحمن الاعرج : « والصابين » بالياء لا الهمز فكان الأصل هو « صبا » وليس الفعل المهموز « صباً » وهذا من تسهيل الهمز الذي هو شائع في اللسان الدراج كما بينا •

قال تعالى : « ان البقر تشابه علينا » الآية ٧٠

وقرأ محمد ذو الشامة من اصحاب القراءات : « ان البقر يشابه »
والبقر اسم جمع كالبحر ومثله الجامل لجمع الجمل والماعز كالمعز
والمعز والضائن كالضأن والضئين وكذلك البقر والبقر والبقر • وهذه
الاسماء التي دلت على الجمع هي من أقدم مواد العربية وقد اوشك شيء
منها ان يزول من العربية الفصيحة في عصرنا • ثم ان الفعل « يشابه »
بنشديد الشين هو « يتشابه » في الاصل ثم عرض له الادغام ، وما زال
هذا الفعل في بنائه المشدد معروف في عاميتنا الدارجة في العراق •

وقال تعالى : (فان لكم ما سألتكم) الآية ٦١

وقرأ ابراهيم النخعي : (فان لكم ما سألتكم) بكسر السين • وكسر
أول الفعل الماضي من النطق العامي في مواطن كثيرة •

وقال تعالى : (ومن كفتري فامتنعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار)
الآية ١٢٦ وقرأ ابن محيصة : « ثم أطره » بادغام الضاد في الطاء وهو
ادغام غريب لا يرد الا نادرا •

وقال تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم ، ان الله بالناس لرؤوف
رحيم » الآية ١٤٣

وقرأ الزهري : « لروف رحيم » بغير همز وزن « رعف » بضم
العين • وقرأ أيضا « لروف » باسكان الواو •

وقال تعالى : (لئلا يكون للناس عليكم حجة) الآية ١٥٠ وقرأ
ورش عن نافع : « ليلا » بغير همز وهو من باب تسهيل الهمز الذي
تحدثنا عنه •

وقال تعالى : (ان آية ملكه ان يأتيتكم التابوت فيه سكينة) الآية ٢٤٨

وقرأ ابو السمال : « سكينه » بتشديد الكاف ، ولا وجه لها في العربية الفصيحة .

شواذ سورة النساء مما جاء في « مختصر » ابن خالويه .

قال تعالى : (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ ...)
الاية ١٢ .

لم ينسب ابن خالويه هذه القراءة واكتفى بنسبتها الى مجهول فقال :
« عن بعضهم » ومهما يكن من شيء فالقراءة على هذا الوجه من التشديد
ما زالت حية في لغتنا الدارجة ، فالعامة يقولون : « أخ » بتشديد الخاء
كما يقولون « أب » .

أورد ابن خالويه تعليقا لابن دريد فقال : التشديد لغة . قال ابن
خالويه : وأهل العربية يرونه لحنًا لأن لام الفعل واو .

وقال تعالى : (ولكل جعلنا قوالى) الآية ٣٣ . وقرأ مجاهد : « ولكل
جعلنا موال » بالتنوين . قال ابن خالويه وانما يجوز مثل هذا في الشعر
كقول الشاعر :

« فلو ان واش باليمامة داره »

وهذا نموذج من القراءات التي لا يرضاها النحاة لابتعادها عن سنن
القواعد النحوية وقال تعالى : (واللذان يأتيانها منكم) الآية ١٦ قرأ بعضهم
« واللذان » بالهمز وهذه القراءة وان نسبت الى « بعضهم » ذات قيمة لغوية .
ومثل هذه القراءة وردت في قوله تعالى : (قالوا ان هذان لساحران)
سورة طه الآية ٦٣ فقد قرئت : « هذان » .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى)
الاية ٤٣ .

وقرئت « سكرى » ونسبت القراءة الى الاعمش • وهو أمر غريب لان الكلمة ينبغي ان تكون جمعا وهي من أبنية جموع التكسير « فعلى » وقرأ ابراهيم « سكرى » والقراءة غريبة لانها مؤنث سكران ومثل هذا ورد قوله تعالى : (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) الآية ١٤٢ •

وقرأ عيسى بن عمر « كسالى » بفتح الكاف وهي لغة تميم وقرأ جناح بن حبيش : « كسلى » و « كسلى » الاولى بضم الكاف والثانية غريبة أيضا لان كسلى ، بفتح الكاف مؤنث كسلان لا جمع له •

قال تعالى : (ولتأت طائفة أخرى) الآية ١٠٢ وروى القاسم ابن عبدالواحد عن ابن كثير انه قرأ « طايفة » بالياء لا الهمز ، والعدول عن الهمز الى الياء في أسماء الفاعلين من الفعل الاجوف من خصائص اللهجات الدارجة •

شواذ سورة المائدة من كتاب كتاب « مختصر » ابن خالويه •

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أحلت لكم بهيمة الانعام) الآية ١ • قرأ أبو السمال : « بهيمة » بكسر الياء • قال ابن خالويه : اذا كانت العين حرفا حلقيا فمن العرب من يتبع حركة التاء حركة العين فيقول : سعيـر وبعيـر ورغيـف ورحيـم وانا شيخ ضعيف •

أقول : ان كسر التاء في « فعل » ظاهرة لغوية عامة- في كثير من اللغات الدارجة في عصرنا فنقول : « كبير » و « نظيف » و « سمين » • ولكن لهذه الظاهرة شواذ منها اتنا نقول : « رحيم » ولعل ذلك جاء من آية البسملة ونقول : عتيق كل ذلك بفتح الفاء •

وقال تعالى : (وجعلنا قلوبهم قاسية) الآية ١٣ • روى الضبي ان يحيى بن يعمر قرأ : « قسية » بضم القاف • وقرأ بعضهم بكسر القاف والسين •

وقال تعالى : (واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) الآية ٥٨
 وقرأ بعضهم : (ولعبا) بكسر اللام واسكان العين • قال ابن خالويه
 مثل فخذ وفخذ وكلمة وكلمة •

وقال تعالى : (وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت)
 الآية ٦٠ •

الكلام في هذه الآية على : « عبد الطاغوت » وهي فعل ومفعول به
 ولكن هذه العبارة القصيرة « عبد الطاغوت » تتحول في القراءات الى صور
 عدة • قال ابن خالويه : فيها تسع عشرة قراءة • وفي هذه القراءات الكثيرة
 يتحول الفعل « عبد » الى اسم على أبنية مختلفة مفردا تارة وجمعا أخرى
 والجمع على أبنية مختلفة ، أو ان الفعل يبقى فعلا ولكنه يتغير باسناد
 الى ضمائر مختلفة • أما الطاغوت فهو أما مفعول به أو مجرور بالاضافة
 أو مرفوع على الفاعلية أو الخبر • وفي هذه القراءات أبنية غريبة يصعب
 تأويلها نحو « عبد الطاغوت » بضم العين واسكان الباء وفتح الدال وهو
 مضاف الى الطاغوت وهذه قراءة الحسن والوجه فيها عسير • و « عبد
 الطاغوت » بفتح العين وضم الباء وفتح الدال والطاغوت مضاف اليه وهي
 قرأ حمزة ولا ندري وجهها • و « عبد الطاغوت » وهذه كسابقتها الا ان
 الطاغوت منصوب وهي قراءة يحيى بن وثاب • واذا كان « عبد » في هذه
 الأخيرة فعلا والطاغوت مفعول به فالغرابية فيها ان « فعل » بضم العين لا يأتي
 منه فعل الا لازما في حين ان « عبد » متعد •

ومن المهم ان بين هذه القراءات قراءة عالية لاعلم الناس بكتاب الله
 وهو علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقد قرأ : « عبدة الطاغوت » جمع
 عابد مثل طالب وطلبة وقال تعالى : « وتعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
 نفسك » الآية ١٦ •

وقرأ الاعش « وتعلم » و « لا أعلم » بكسر التاء والهمزة في الفعلين .
وهذه مسألة لغوية ذكرها اللغويون القدامى على أنها من اللغات المذمومة
وهي في اصطلاحهم تلتله بهراء (٤٢) وما زالت هذه الظاهرة اللغوية حية
في عربية الاقاليم المحكية في عصرنا .

شواذ سورة الاعراف من كتاب - المختصر - لابن خالويه

وقال تعالى : (عجلا جسدا له خوار) الآية ١٤٨ وقرأ أبو السمال
« له جؤار » بالجيم والهمز .

وهذه من المسائل التي قد يظن انها ترجع الى تشابه الرسم بين الجيم
والحاء في العربية اذ لا قرابة صوتية بين الصوتين في المخرج والحيـز
والصفة . وقد يقال ان « الجؤار » في قراءة ابي السمال يدل على الصوت
فهو من المصادر التي تفيد الاصوات كالصراخ والنباح وغيرها . وقد
اعتمد الجوهري على القراءة فذكر : ان الجؤار مثل الخوار ، جأر الثور
والبقرة يجأر جؤارا : صاح ، وخار يخور خوارا بمعنى واحد . ان ان
أنشأ القراء قرؤوا : « خوارا » بالخاء الفوقية .

والذي دعاني الى هذا الايضاح والاستدراك ان « الجؤار » بالجيم
هو ليس من الاصوات الخاصة بحيوان معين في حين ان الخوار بالخاء
من الاصوات الخاصة بالحيوان المعروف . لقد انصرف « الجؤار » بالجيم
عامة فقد جاء في « اللسان » : جأر يجأر جأرا جؤارا : رفع صوته مع
تضرع واستغاثة . وفي التنزيل (اذا هم يجأرون) . وقال ثعلب : هو
رفع الصوت بالدعاء . وجأر الرجل الى الله اذا تضرع بالدعاء . وفي
الحديث : كأنني أنظر الى موسى له جؤار الى ربه بالتلية . وقال تعالى :
(ولما سكنت عن موسى الغضب) الآية ١٥٤ وقرأ معاوية بن قرة : « سكن
الغضب » بالنون لا التاء . والصحيح ان الدلالة في المادتين قد تؤدي الى نتيجة

- واحدة في المعنى العام الا ان للسكوت خصوصية معنوية غير السكون .
- أقول : لعل هذه القراءة الشاذة جاءت من تشابه الرسم بين النون والتاء .
- وقال تعالى : (وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس) الآية ١٦٥ .

وقد قرأ عاصم : « بعذاب بئس » على وزن فعل أو (بئس) بفتح الهمزة وقرأ الزهري : « بعذاب بيس » مثل شين • وقرأ ابن كثير : « بعذاب بيس » مثل عبد • وقرأ نصر بن عاصم : « بعذاب بيس » بياءين • وهذا كله من القراءات التي ابتعدت عن البناء الفصح المثبت في الآية الكريمة •

شواذ سورة الانفال من كتاب (مختصر) ابن خالويه

قال تعالى : « يسألونك فن الانفال » الآية ١ •

وقرأ ابن محيصن « علفال » بالادغام • وهذا الادغام الحاصل من حرف الاضافة « عن » مع لام التعريف كثير في اللغة الخاصة ومثله « على » ومن قوله تعالى : « ويسلك السماء ان تقع على ض » (الحج ٦٥) وقال تعالى : « فأما تتقنهم فشرذ بهم من خلفهم » الآية ٥٧ •

وقرأ ابن مسعود : « فشرذ بالذال » وهي قراءة غريبة اذ لا معنى لـ « شرذ » بالذال المعجمة • ولم تؤد معنى « شرذ » بالذال المهملة الا أن تكون مأخوذة من لسان هذيل^(٤٣) خاصة ولم تعرف في سائر العرب • ولكن هذه القراءة ذات قيمة تاريخية لما نعرف من مكانة ابن مسعود واهتمامه بالقراءة وسماعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •

شواذ سورة التوبة من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « ثم لم ينقصوكم شيئاً » الآية ٥٤ •

وقرأ عطاء بن يسار : « ثم لم ينقصوكم شيئاً » بالضاد المعجمة •

مكتبتنا العربية

وتوجيه هذه القراءة أنه قد يكون للقراءة الصوتية بين صوتي الصاد والضاد أثر في ذلك فالصاد صوت إنساني لثوي مهمسوس مفخم ، والصاد صوت إنساني لثوي شديد مجهور مفخم • وهذا النوع من الابدال الصوتي حاصل في « حصب جهنم » و « خضب جهنم » « وقبض قبضة من أثر الرسول » و « قبض قبضة من أثر الرسول » وفي آيات أخرى (٤٤) وقال تعالى : « فتكوى بها جباههم » الآية ٣٥ •

وقرأ أبو عمرو في رواية : « جباهم » بادغام الهاء في الهاء • وهي قراءة غريبة وذلك ان الكلمة يعرض لها ما دعوه ب (التقاء الساكنين نتيجة ادغام الهاء بالهاء وهذا يؤلف صعوبة تجنبها العربية الفصيحة في كثير من الكلمات ولم يبق من ذلك الا قليل من الالفاظ مما لا يمكن أن يتخلص فيها من هذا الثقل الذي يعرض لها بسبب التقاء الساكنين نحو حمارة القيط وصبارة القر واحمار واخضار وتبعان وتضام وغيره • ومن المفيد ان هذا كثير في اللهجات الدارجة •

من شواذ سورة يونس من كتاب «مختصر» ابن خالويه

قال تعالى : « حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت » الآية ٢٤
وقرأ أبو عثمان النهدي : « وازيانت » وهو من الغرائب لبعد الأصل « زين » عن « زان » التي لا وجود لها في العربية الا في هذه القراءة •

من شواذ سورة يوسف من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « نفقد صواع الملك » الآية ٧٢
وقرأ أبو هريرة وجماعة : « صاع الملك » والقراءة مقبولة مفهومة •
وقرأ يحيى بن يعمر : « صوغ الملك » بالغين المعجمة وفتح الصاد • وقرأ عبدالله بن عون : بضم الصاد والغين المعجمة • وقرأ سعيد بن جبير : « صواع » بضم الصاد والغين المعجمة • وقد تكلمنا على الابدال الصوتي بين

مكتبتنا العربية

العين المهملة والغين المعجمة في « غشاوة » و « عشاوة » من سورة البقرة •

وقال تعالى : « فتحسسوا من يوسف » الآية ٨٧

وقرأ النخعي : « ولا تجسسوا » بالجيـم وليس من قرابة صوتيه بين الحاء والجيـم نعم ، ان هناك قرابة في الدلالة المعنوية مع خلاف سير • ثم الا يكون لتشابه الرسم شيء أوجب هذه القراءة في حالة التخفف من قيد الاعجام :

ولهذه القراءة نظائر في سورة الحـجرات الآية ١٢ في قوله تعالى : « ولا تحسسوا » فقرئت : « ولا تجسسوا » وفي سورة الاسراء الآية ٥ في قوله تعالى « فجاسوا خلال الديار » فقرئت « فحاسوا » بالحاء المهملة • وقال تعالى : (بدم كذب) الآية ١٨

وقرأ الحسن وابن عباس : (بدم كذب) بالـدال المهملة • والكذب لا تعني الكذب وان حصل ابدال بين الـدال والـدال في كلمات اخرى • وأغلب الظن ان هذا الابدال شائع في اللغات الخاصة وما زال معروفاً في لغاتنا الحديثة الدارجة •

من شواذ سورة الكهف من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « فوجدوا فيه جداراً يريد أن ينقض » الآية ٧٧ •
وقرأ ابن مسعود : « ان ينقاض » وهي قراءة جيدة مقبولة وان شذت عن المصحف • وقرأ الزهري ويحيى بن يعمر : « ان ينفاض » بالفاء الموحدة لا القاف مع التشديد • (٤٥) ومع توفر شيء من معنى قريب الا ان الابدال لصوتي غير متوفر القرابة الصوتية • ثم ألا يكون هذا شيئاً من تشابه « الرسم » بين الفاء والقاف اذ يصعب التمييز بين النقطة الواحدة والنقطتين : والذي يقوي هذا الظن أن يحيى بن يعمر من أصحاب اللغة والنحو ولا يمكن أن تخفى عليه قوة (انقض) بالقاف وانها شيء أقوى من « انفض »

بـالفاء •

من شواذ سورة مريم من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « فاما ترين من البشر أجداً » الآية ٢٦ •

وقرأ ابن الرومي « ترئن » بالهمز عن ابى عمرو • وروى عنه شيء من هذا في سورة التكاثر الآية ٦ : (لترون الجحيم) فقرأ « لترؤن » بالهمز وهو عند أكثر النحويين لحن •

من شواذ طه من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « وأهش بها على غنمي » الآية ١٨ •

وقرأ عكرمة : « وأهس » بالسين المهملة وهذا ضرب من الابدال الصوتي بين الشين والسين للقرابة الصوتية في صفة كل منهما فكلاهما رخو مهموس (٤٦) •

من شواذ سورة الحج من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : (لهدمت صوامع وبيع وصلوات) الآية ٤٠ •

قال ابن خالويه فيها احدى عشرة قراءة هي : صلوات ، وصلوان وقرأها أبو العالية الكلبي والضحاك ، وصلوات وقرأها جعفر بن محمد ، وصلوات وقرأها الجحدري ، وصلوب بالباء وقرأها الحجاج والجحدري ، وصلوات باسكان اللام وقرأها أبو العالية أيضاً ، وصلوات وقرأها الجحدري ، وصلوات بالثاء وقرأها الجحدري أيضاً ، وصلوات وقرأها مجاهد ، وصلوات وقرأها الكلبي ، وصلوات وقرأها عكرمة ، وزاد ابن مجاهد صلوات بكسر الصاد وبالثاء •

أقول : ان هذ الكلمة من المشترك السامي فهي في العبرانية والارامية وفي غيرها من اللغات السامية • أما لاختلاف في ضبطها بالحركات القصيرة

مكتبتنا العربية

والطويلة فهو شيء يرجع الى اختلاف اللغات • وان الاختلاف في روايتها بالتاء أو التاء فذلك شيء يتصل بالأصل السامي ، وما يحدث بين التاء والتاء فيها من ابدال ، الا ان الغريب الذي لا أفهمه هو مجيئها في قراءتها بالتاء • وما أظنها الا من باب السهو والخطأ اذ لا وجود لهذا الأصل في الصور السامية للكلمة •

ومثل هذا ما ورد في سورة « المؤمنون » في الآية ٣٦ وهي نقطة « هيهات » فقد وردت في قراءات كثيرة تختلف في ضبط الكلمة وفي الابدال بين الهاء الاولى والهمزة فقرئت « أيهات » و « أيهى » الى قراءات اخرى لا تخرج عن حدود اختلاف الضبط غير ان قراءة واحدة هي « ايهان » بالنون لا سبيل الى فهمها الا على أساس السهو أو لعله من تشابه الرسم •

من شواذ سورة القصص من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « انه لا يحب الفرجين » الآية ٧٦ •

وحكى عيسى بن سليمان انه سمع قراءة « الفارجين » والغرابية في هذه القراءة انه لم يسمع بناء « فاعل » من الفعل « فرح » ولعل هذا كان معروفاً في لغة من لغات العرب •

من شواذ سورة يس من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « ألم أعهد اليكم يا بني آدم » الآية ٦٠ •

وقرأ يحيى بن وثاب « ألم أعهد » بكسر الهمزة وبنو تميم يقرؤون « ألم أحد » وهذا الابدال مع الادغام يؤلف ظاهرة صوتية فريدة • ومثل هذه الظاهرة يحصل في الألسن الدارجة في عصرنا •

من شواذ سورة الواقعة من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « وطلح منضود » الآية ٢٩ •

مكتبتنا العربية

وقرأ علي ابن أبي طالب : « وطلع منضود » بالعين • ودلالة الطلع غير الطلح • فالطلع هو طلع النخل والطلح ضرب من الشجر • ولكن سبب القراءة الى علي ابن أبي طالب تكسبها علوا ومكانة •

ومن شواذ سورة الحديد من كتاب «مختصر» ابن خالويه

قال تعالى : (لئلا يعلم أهل الكتاب) الآية ٢٩ •

وقرأ الحسن : (ليلا) بالياء بالتسهيل وتسهيل الهمز يجري على سنن اللغات الدارجة •

شواذ سورة المزمل من كتاب « المختصر » ابن خالويه

قال تعالى : (ان لك في النهار سبحا طويلا) الآية ٧ •

وقرأ يحيى بن يعمر : (سبخا) بالخاء المعجمة • وهذا الابدال الصوتي يسوغه القرابة الصوتية في الحيز والمخرج • على ان فرقا كبيرا في الدلالة بين القراءتين فالسبخ يعني النوم ، والسبح يعني الفراغ والتصرف والاضطراب والجيئة والذهاب

من شواذ سورة سبأ من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « بل مكر الليل والنهار » الآية ٣٣ •

وقرأ سعيد بن جبير وجعفر بن محمد « بل مكر الليل » بتشديد الراء (٤٧) وهي قراءة غريبة •

من شواذ سورة النبأ من كتاب « المختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا » الآية ١٤ •

وقرأ عكرمة : « ماء نجاجا » بالنون والخاء • قد يكون « نجاجا » مفيداً أيضا لدلالته على الحركة والصوت وهو من غير شك غير « شجاجا » أقول : لعل هذه القراءة تهيات بسبب من تقارب الرسم :

ومن شواذ سورة الواقعة من كتاب « مختصر » ابن خالويه

قال تعالى : « فظلمت تفكهون » الآية ٦٥ •

وقرأ أبو حرام العكلي : « فظلمت تفكنون » بالنون • و « تفكن » بمعنى تندم في حين ان « تفكه » بمعنى تعجب كما ذكر ابن خالويه وفي اللسان : وقال مجاهد في الآية : « تفكنون » بمعنى تعجبون وقال عكرمة : انها بمعنى تدمون • وبعد فهذه جملة مسائل تتصل بالقراءات الشاذة تخيرتها من كتاب « مختصر » ابن خالويه لبيان ان هذه المسائل تبتعد قليلا أو كثيرا عن لغة التنزيل في المصحف الذي وصل إلينا وفق القراءات الموحدة المشهورة العالية ولا بد ان أكمل هذه المختارات فأعرض لما في كتاب « المحتسب » لابن جني فأتخير منه ما لم أجده في كتاب ابن خالويه للغرض نفسه •

من شواذ سورة البقرة من كتاب « المحتسب »

قال تعالى : « بين المرء وزوجه » الآية ١٠٢ •

وقرأ الحسن وقتادة : « بين المرء وزوجه » بفتح الميم وكسر الراء خفيفة من غير همز وقرأ الزهري : « المرء » بفتح الميم وتشديد الراء • وقرأ ابن أبي اسحاق « المرء » بضم الميم وسكون الراء والهمز • وقرأ الأشهب : « المرء » بكسر الميم والهمز • وتناول ابن جني هذه القراءات ليعلل شذوذها وابتعادها عن فصيح العربية المشهور فقال : أما قراءة الحسن وقتادة : « بين المرء » بفتح الميم وخفة الراء من غير همز فواضح الطريق ، وذلك انه على التخفيف القياسي ، كقول في الخب : هذا الخب ... تحذف الهمزة وتلقى حركتها على الباء قبلها • وعليه القراءة : « الذي يخرج الخب في السموات والأرض » (٤٨) •

وبهذه الطريقة المتكلفة خرج ابن جني هذه القراءة وقد خرج أيضاً بتكلف عبر قراءة الزهري المتقدمة • أما قراءة المرء « بضم الميم » و « المرء »

- بكسر الميم فذهب الى أنهما « لغة » (٤٩) .
- وقال تعالى : « فان لكم ما سألتكم » الآية ٦١ .

وقرأ يحيى بن يعمر وإبراهيم « ما سألتكم » بكسر السين ويحاول ابن جنى أن يجد لها تعيلاً فلم يفلح فقال : فيه نظر ، وذلك ان هذه الكسرة ! لما تكون في أول ما عينه معتلة كبعت وخفت ، أو أول فعل اذا كانت عينه معتلة أيضاً كقيل وبيع وحل وبل أي حل وبل

أقول : وكلام ابن جنى لا يعرض للمشكلة من أي وجه فأمثله لا تنطبق على القراءة في « سألتكم » بكسر السين .

- ولذلك قال بعد أن استنفد كل فعل يكسر أوله : « فاذا كان كذلك فقراءتهما » سألتكم « مكسورة السين مهسوزة غريب » (٥٠) .
- وقال تعالى : « ثم اضطره الى عذاب النار » الآية ١٠٦ .

وقرأ ابن محيصة ثم « اضطره » . وعلق ابن جنى فقال : « هذه لغة مرذولة ، أعنى : ادغام الضاد في الطاء وذلك لان فيها من الامتداد والفسو ، فانها من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ، ولا تدغم هي فيما يجاورها . وهو الشين والضاد والراء والفاء والميم وقد أخرج بعضهم الضاد من ذلك (٥١) وقال : لانه قد حكي ادغام في الطاء في قولهم في « اضطجع » « اطجع » وأنشدوا :

لما رأى أن لا دعه ولا شبع مال الى أرطاة حقف فاطجع

- ويروى : « فاضطجع » على الأصل وهو الاكثر والاقيس .
- أقول : أن يكون الشاهد قد صنع فيه « فاطجع » وضعاً وكذباً لانه روى أيضاً على الوجه الصحيح ؟ ومما يقوي هذا عندي ان هذا الادغام غير معروف ولا مسموع وغير جار على طريقة العربية في اجتماع الاصوات .

قال تعالى : « الا ان يصلحا بينهما » الآية ١٢٨ •

وقرأ عاصم : « أن يصلحا » بتشديد الصاد • وعلق أبو الفتح فقال أراد « يصلحا » أي يفتعلا ، فأثر الادغام فأبدل الطاء صاداً ، ثم أدغم فيها الصاد النني هي فاء فصارت يصلحا • ولم يجوز أن تبدل الصاد طاء لما فيها من امتداد الصغير ، أن ترى ان كل واحد من الطاء واختيها والطاء واختيها يدغمن في الصاد واختيها ولا يدغم واحدة منهن في واحدة منهن فلذلك لم يجوز (الا ان يطلحا) وجاز يصلحا^(٥٢) •

من شواذ سورة الاعراف من كتاب «المحتسب»

قال تعالى : « وهو الذي يرسل الرياح بشرا » الآية ٥٧ •

وقرأ الحسن وقتادة وأبي رجا والجحدري وسهل بن شعيب : « بشرا » بضم النون وختم الشين • وتوجد قراءات عدة كلها بالياء مع خلاف في الضبط • كما قرأ مسروق « بشرا » وعلق ابن جني معللا كل قراءة فقال في « بشرا » انها تخفيف « نشر » بضمين وهي قراءة « العامة » • والنشر جمع نشور لانها تنشر السحاب وتستدره ، والتثنيل أفصح لانه لغة الحجازيين ، والتخفيف في نحو ذلك لتيسير^(٥٣) وهذه اشارة واضحة الى اللغات التي اعتمدت عليها القراءات ثم ان قوله قراءة « العامة » يشير الى ان للعامة نمطاً يتعد كثيراً أو قليلا عن القراءات الفصيحة المشهورة ثم ألا يجوز أن تكون هذه القراءة قد تولدت من تشابه الرسم •

من شواذ سورة التوبة من كتاب «المحتسب»

قال تعالى « لولوا اليه وهم يجمعون » الآية ٥٧ •

وقد روى الأعمش قال : « سمعت أنسا^(٥٤) يقرأ « لولوا اليه وهم

يجمزون « قيل له : وما يجمزون ؟ انما هي يجمحون فقال : يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد « قال أبو الفتح : ظاهر هذا ان السلف كانوا يقرؤون الحرف مكان نظير من غير أن تتقدم القراءة بذلك ، لكنه لموافقته صاحبه في المعنى • وهذا موضع يجد الطاعن به اذا كان هكذا أعلى القراءة مطعنا ، فيقول : ليست هذه الحروف كلها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كانت عنه لما ساء ابدال لفظ مكان لفظ اذا لم يثبت التخيير في ذلك عنه ، ولما أنكر أيضاً عليه : « يجمزون » الا ان حسن الظن بأنس يدعو الى تقدم القراءة بها الاحرف الثلاثة التي هي « يجمحون » و « يجمزون » و « يشتدون » ، فيقول : اقرأ بأبيها شئت ، فجميعها قراءة مسموعة الاحرف مقروء بجميعها لكان النقل بذلك وصل إلينا ، قيل أولا يكفيك أنس موصلا لها إلينا ؟ فان قيل : ان أنسا لم يحكما قراءة وانما جمع بينها في المعنى ، واعتل جواز القراءة بذلك لا بأنه رواها قراءة متقدمة • : قد سبق من ذكر حسن الظن ما هو جواب عن هذا »

مرآة تحقيق في توطير علوم راسدي

من شواذ سورة سبأ من كتاب «المحتسب»

قال تعالى : « حتى اذا فزع عن قلوبهم » الآية ٢٣ •

وقرأ الحسن وقتادة وأبو التوكل « فرغ » بفتح الفاء والراء مع تشديدها وبالغين وقرأ الحسن وقتادة ايضا : « فرغ » بالراء خفيفة • وقد روي عن الحسن : « فرغ » بضم الفاء وبالراء مشددة وبالغين •

وقال أبو عمر الدوري : بلغني عن عيسى بن عمر انه كان يقرأ : حتى اذا افرنقع عن قلوبهم قال أبو الفتح : المعنى في جميع ذلك حتى اذا كشف عن قلوبهم • ثم التمس وجهاً وتعليلاً لكل قراءة •

وقال أبو حاتم . قال يعقوب روى أيوب السخيتاني عن الحسن :
 « فرغ » بضم الفاء وكسر الراء وخفيفها ، واعجم الغين ف قيل للحسن :
 انهم يقولون : « فرغ » مثقلة ، فقال الحسن : لا ، انها عربية . قال : ولا
 أظن الثقات رووها عن الحسن على وجوه الا لصعوبة المعنى عليه . واختلفت
 ألفاظه ، وقال فيها أقوالا مختلفة ، يعني أبو حاتم اجتماع معنى فزغ مع
 معنى ف ر غ في ان الفزع : قلق ومفارقة للموضع المقلوق عليه . والفراغ :
 اخلاء الموضع فهما من حيث ترى ملتقيان . وكذلك معنى « افرنقع » يقال :
 افرنقع القوم عن الشيء أي تفرقوا عنه (٥٥) .

لقد بدا لنا من هذا الاستقراء لنماذج من القراءات الشاذة انها مواد
 لغوية ابتعدت قليلا أو كثيراً عن السنن المشهور في القراءات العالية . وهذا
 يعني انه في الوقت الذي سادت عربية فصيحة ذات نمط في أبنيتها ونحوها
 كانت هناك أنماط أخرى لغوية تشذ عن هذا الخط المستقيم . ومما تجدر
 الإشارة اليه أنني لم أذكر النماذج التي خالفت فيها القراءات الشاذة قواعد
 النحو العربي معتمداً ان الدارسين للنحو كانوا قد مروا بنماذج منها في كتب
 النحو . وقد حاول النحاة التماس وجه لتجويزها وتقريبها من مشهور
 الاسس النحوية . على ان من النحاة من لم يستطع التماس هذا الوجه فحمل
 القراءة على اللحن وربما حصل لهم هذا في شيء من القراءات العالية .

وهذا يعني ان مادة ما تدعوه في عصرنا بـ « الملهجات » كانت واضحة
 في القراءات الشاذة كل الوضوح في الوقت الذي استطاعت فيه جهود اللغويين
 يعضدهم الحاكمون الى أن تكون لغة فصيحة أخذت طريقها الى مجتمع آخذ
 النماء والاتساع . وكأن جمهرة القراء لم يأبهوا لاقوال اللغويين النحاة وتقدهم
 وا كان بين هؤلاء القراء جماعة من أصحاب النحو واللغة . وتسمية هذه

القراءات بالشواذ حمل الضيم عليها ، فهي ليست دائما لغة الناس والطبقات العامة فقد يكون بين الذين رويت هذه القراءات عنهم أعلم الناس بكتاب الله وافرؤهم له وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وبينهم عبدالله بن مسعود وهو أحد كتاب الوحي وبينهم أنس بن مالك صاحب رسول الله وخادمه ، وعيسى بن عمر ويحيى بن يعمر من كبار النحويين •

ومما يقوي هذه القراءات رأي كبار اللغويين فيها ومنهم ابن جني في مقدمة « المحتسب » وقد أشرنا الى ذلك • وقد أشار ابن جني ليقوي هذه الساذج من القراءات الى أنها تتصل بلغات القبائل والاقاليم فمما نسبته ابن جني من ذلك :

آ - تسكين الهاء عند الوصل : جاء في « المحتسب » (٥٧) ومنهم من يدع الهاء على سكونها في الوصل كما يسكنها عند الوقف كما ان منهم من يسكن الهاء المضمرّة اذا وصلها فيقول : مررت به أمس ، وذكر أبو الحسن أنها لغة لأزد الشراة • ذكر ابن جني هذا في التعليق على الآية « هذه سيللي » (٨٥) في قراءة من يقرأ « هذي سيللي » بالياء اللاحقة بعد الهاء •

ب - ومن لغة تميم المسائل الآتية :

١ - تخفيف ثقل الحركات المتتابعة بعد التسكين : جاء في « المحتسب » (٥٩) •

ومن ذلك قال ابن مجاهد : قال عباس : سألت أبا عمرو عن « يعلمهم » الكتاب ، فقال أهل الحجاز يقولون « لا يعلمهم ويلعنهم » (٦٠) مثقلة ، ولغة تميم يعلمهم ويلعنهم •

قال أبو الفتح : فاما الثقل فلا سؤال عنه ولا فيه ، لأنه استيفاء واجب الاعراب ، لكن من حذف فعنه السؤال وعلته توالي الحركات مع الضمات ، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركة الاعراب • وعليه قراءة أبي عمرو •

٢ - ادغام المضارع المجزوم المضعف اللام :

جاء في « المحتسب » (٦١) ومن ذلك قراءة عمرو بن عبيد وأبي جعفر يزيد بن القعقاع (ولا يضار) (٦٢) بتشديد الراء وتسكينها • قال أبو الفتح : أما تشديد الراء فلا سؤال فيه ، لأنه يريد « يضار » بفتح الراء الاولى أو بكسرها • وكلاهما قد قرئ به ، أعني الفتح في الراء الاولى والكسر ، والادغام لغة تميم • والاظهار لغة الحجازيين على ما مضى ، لكن تسكين الراء مع التشديد فيه نظر •

٣ - تسكين ثنائي الثلاثي إذا كان مضموماً أو مكسوراً • جاء في المحتسب (٦٣) •

وهو الذي يرسل الرياح بشرا « قرئت نشرا » بضم النون وجزم • قال أبو الفتح : اما نشرا فتخفيف « نشرا » في قراءة العامة والنشر جمع نشور لأنها تنشر السحاب وتستدره ، والثقل أفصح لأنه لغة الحجازيين والتخفيف في نحو ذلك لتيسر وهذه جارية في نظائر هذه الآية فالجك بإسكان الباء لغة تميم وبالضم لغة الحجاز في قوله تعالى « والسماء ذات الجك » سورة الذاريات ٧ •

٤ - كسر شين عشرة : جاء في المحتسب (٦٥) •

ومن ذلك قراءة الاعشى وطلحة بن سليمان : « فانبجست منه اثنا عشرة عيناً » (٦٦) بكسر الشين من عشرة قال أبو الفتح : أن

« عشرة » بكسر الشين فتسمية وأما اسكانها فحجازية •

٥ - كسر أول المضار اذا كان ثاني ماضيه مكسورا : جاء في المحتسب (٦٧) •

وم من ذلك قراءة يحيى والاعشى وطلحة ورواة الازرق من حمزة « فتمسكم النار » (٦٨) بكسر التال •

قال أبو الفتح : هذه لغة تميم أن تكسر أول مضارع اذا كان ثاني ماضيه مكسورا نحو علمت تعلم وأنا أعلم ونحن نركب وتقل الكسرة في الياء نحو يعلم ويركب استقلا للكسرة في الياء ، وكذلك ما في أول ماضيه همزة وصل مكسورة نحو تنطلق ، ويوم تسود وجوه فكذلك تمسكم النار •

٦ - جمع صنو على صنوان (بالضم) جاء في المحتسب (٦٩) •

والصنوان بالضم لتمييم وقيس ، وبالكسر لاهل الحجاز •

٧ - تسمية القبر بالجدف في لغة تميم (٧٠) وبالجدث في لغة الحجاز

ومن اللغات الخاصة :

كسر شين « شجرة »

جاء في المحتسب (٧١) قال عباس : سألت أبا عمرو عن « الشجرة » بكسر الشين فكرها وقال : يقرأ بها برابر مكة وسودانها ومن هذه اللغات :

كسر همز أيان « كما جاء في المحتسب » (٧٢) وقد قرأ السلمي :

« ايان مرساها » (٧٣) بكسر الهمزة والسلمي يشير الى بني سليم ومنها :

ضم أول الاجوف حين بنائه للمجهول وقلب عينه واوا نحو قول وبوع وهي لغة لبني ضية (٧٤) •

ومنها : تحريك الحلقي الساكن بعد فتح : جاء في المحتسب (٧٥) •

ومن ذلك قراءة سحيل بن شبيب النهمي : « جهنرد » (٧٦)
و (زهيرة) (٧٧) .

قال أبو الفتح مذهب أصحابنا في كل شيء من هذا النحو مما فيه
حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح : أنه لا يحرك الا على انه لغة فيه .
مد . . . ومذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثاني لكونه حرفا حلقيًا فيجيزون
فيه الفتح وان لم يسمعه ، كالبحر والبحر والصخر والصخر . وما أرى
القول من بعد الا معهم ، والحق فيه الا اني أديهم . وذلك انني سمعت
عامة عقيل تقول ذلك ولا تقف فيه سائلا غير مستكره ، حتى لسمعت
الشحري يقول أنا محموم بفتح الحاء وليس أحد يدعي أن في الكلام مفعول
بفتح الفاء ومنها : ان الكوفيين أجازوا « ترئن » بالهمز وهي قراءة ابي عمرو
وأنشدوا :

« كمشرىء بالحمد أحمرة بترا » (٧٨) .

ومنها قلب اف المقصور ياء حين يضاف الى ياء المتكلم . كقراءة النبي
صلى الله عليه وسلم وابي الطفيل وعبدالله بن ابي اسحاق وعيسى بن عمر
الثقفي : « فمع اتبع هدى » .

قال أبو الفتح : هذه لغة فاشية في هذيل وغيرهم (٧٩) .

بعد هذا العرض لحال العربية في لهجاتها من خلال كتب اللهجات
والقراءات وما أثر عن المتقدمين من كبار الصحابة واللغويين ممن عاينوا
بالقرآن يبدو لي ان العربية توحدت في نمط فصيح في أبنيتها ومعانيه وأصواته
ونحوه وصرفه بسبب الجهود التي توجهت الى جمع القرآن وتوحيد
قراءاته وتهيئة المصحف المشهور . ولولا ذلك لكانت لغات عدة تختلف في
كل شيء من عناصرها المختلفة ورب سائل يسأل : لم كانت النصوص

الشعرية جارية على النمط الفصيح المشهور ولم لم يعرض لها ما وجد في
القراءات ؟

والجواب عن هذا ان رواة الشعر وتقاده وجلهم من ثقات اللغويين
رسموا لهم منهجاً صارماً في أخذ النصوص الفصيحة على النمط الذي يؤيد
آراءهم في اللغة والنحو • وهذا يعني أنهم نبذوا أشياء كثيرة لا تخدم هذا
المنحى الصارم •



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

المصادر والمراجع :

- ١ - انظر صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، الباب الثاني والباب الثالث ، الاتقان ١٠٢/١ المصاحف لابن ابي داود ص ١٨ ، تفسير الطبري ٢٠/١ - ٢١ .
- ٢ - انظر غاية النهاية ٤٥٨/١ (ترجمة عبد الله بن مسعود) .
- ٣ - انظر تفسير الطبري ٢١/١ وانظر الاتقان ١٠٢/١-١٠٣ والمقنع للداني ص ٨ .
- ٤ - كتاب المصاحف لابن ابي داود ص ١٢ .
- ٥ - والى هذا ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام واحمد بن يحيى ثعلب انظر البرهان للزركشي ٢١٧/١ .
- ٦ - انظر الاتقان ٨١/١ البرهان ٢١٩/١ .
- ٧ - انظر الاتقان ٢٣٠/١ .
- ٨ - المصدر السابق ٢٢٧/١ (النوع السابع والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز) .
- ٩ - البرهان ٢١٩/١ .
- ١٠ - المصدر السابق .
- ١١ - البرهان ٧٣٩/١ المصاحف لابن ابي داود ص ٥ .
- ١٢ - الاتقان ١٠٣/١ .
- ١٣ - البرهان ٢٤٠/١ .
- ١٤ - سورة يوسف الآية ٣٥ .
- ١٥ - الزمخشري الكشاف ٤٦٨/٢ .
- ١٦ - الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٨٠/١ وانظر طبقات القراء لابن الجزري ٥٢/٢ .
- ١٧ - التيسير في القراءات السبع للداني (استنبول سلسلة نشرات المكتبة الاسلامية) .
- ١٨ - النشر في القراءات لابن الجزري المكتبة التجارية في القاهرة .

مكتبتنا العربية

- ١٩ - مختصر البديع لابن خالويه طبع القاهرة (المطبعة الرحمانية سنة ١٩٣٤) .
- ٢٠ - المحتسب لابن جني (من مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة) .
- ٢١ - هو احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي المعروف بابن مجاهد من ائمة القراءات وهو الذي سبعا توفي سنة ٣٢٤ هـ انظر طبقات ابن الجزري ١/١٣٩ .
- ٢٢ - ابو بكر محمد بن الحسن بن مقسم عن ائمة القراء في بغداد ويذكر عن انه كان يقول ان كل قراءة وافقت المصحف ووجها في العربية والقراءة بها جائزة وكانت وفاته سنة ٣٥٤ هـ انظر طبقات ابن الجزري ٢/١٢٣ .
- ٢٣ - لثة يرى مرى : لثلا يظن طان .
- ٢٤ - سورة الحشر ٧ .
- ٢٥ - هو عبد الله بن كثير من اصل فارسي كان امام القراءة في مكة واحد السبعة توفي سنة ١٢٠ هـ انظر طبقات ابن الجري ج/٤٤٣ .
- ٢٦ - وردت هذه الكلمة في الايات : ٥ من سورة يونس و ٤٨ من سورة الانبياء و ٧١ من سورة القصص وهذه القراءة هي رواية قنبل عن ابن كثير كما في اتحاف فضلاء البشر علوم قرآنية .
- ٢٧ - هو عبد الله بن عامر اليحصبي امام اهل الشام في القراءة واحد السبعة توفي سنة ٢٢٨ هـ انظر طبقات ابن الجزري ١/٤٢٣ .
- ٢٨ - المحتسب ١/٣٢-٣٣ .
- ٢٩ - الخصائص ٢/١٠ .
- ٣٠ - المصدر السابق ٢/١٢ .
- ٣١ - المزهر للسيوطي ١/٢١١ .
- ٣٢ - هذا وهم ولعل من خطأ السيوطي لا الفارابي لان لغة نصارى الشام في العهود الاسلامية هي الازامية السريانية .
- ٣٣ - المزهر للسيوطي ١/٢١٢ .
- ٣٤ - سورة الاعراف ١٠ .

- ٣٥ - لسان العرب (عيش) *
٣٦ - مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه ص ١ .
٣٧ - سورة الشعراء ٢١٠ .
٣٨ - البيان والتبيين ٤/٢ (طمصر ١٣١١-٣١) عن كتاب ليوهان فك (ترجمة النجار) .
٣٩ - البيان والتبيين ٢/٢١٩ (تحقيق عبد السلام محمد هارون) .
٤٠ - ومن المفيد ان اشير الى ان هذا حاصل بين الكلمة العربية ونظيرتها في اللغات السامية العبرانية والسريانية والكلمة غرب تكون في العبرانية عرب . ومثله غرب (عن الباب = عرب ومن المفيد ان «غرب» عن البال في العربية يتحول الى «عزب» بالعين المهملة والزاي ومن هذه الامثلة : غراب في العربية = عورب في العبرانية وفي اللغة السريانية (عزب شمشا) اي غربت الشمس .
٤١ - كتاب لابن خالويه وانظر المظهر ١/١٤٦ .
٤٢ - انظر اللسان «تلتل» وانظر الصاحبى في فقه اللغة «لاحمد بن فارس في موضوع «اللغات المنمومة» .
٤٣ - ذكر ابن جنى في «المحتسب» ٢٨٠/١ هذه الآية في شواذ سورة الانفال وقال لم يمرر بنا في اللغة تركيب (ش ر ذ) واوجه ما يصرف اليه ذلك ان تكون الذال بدلا منن الدال كما قالوا . لحم فردال وخرذال والمعنى الجامع لهما انهما مجهوران ومتقاربان .
٤٤ - ومن الغريب ان هذا النوع من الابدال الصوتي يحصل بين العربية والعبرانية نحو (ضحك) في لعربية (صاحق) في العبرانية .
٤٥ - في المحتسب ٢/٣١ لابن جنى : وقراً علي بن ابي طالب وعكرمة وابو شيخ الهنائي ويحيى بن يعمر «ينقاص» بالصاد المهملة قال ابو الفتح و (ينقاص) مزاوع قصته فانقاص اي كسرت فأنكسر .
٤٦ - ومن المفيد ان اعرض لحقيقة ان كثيرا من الكلمات التي وردت بالسین في العربية يقابلها الشين في العبرانية نحو شمس في العربية شمش في العبرانية وهو كثير
٤٧ - وزاد ابن جنى في المحتسب ٢/١٩٣ وهي قراءة ابي وزين ايضا وهو مسعود بن مالك روى عن ابي مسعود وعلي بن ابي طالب رضي الله

مكتبتنا العربية

- عنهما انظر طبقات ابن الجزري ٢/٢٩٦
- ٤٨ - سورة النمل الآية ٢٥
- ٤٩ - المحتسب ١/١٠١-١٠٢
- ٥٠ - المحتسب ١/٨٨
- ٥١ - المصدر السابق ١/١٠٦
- ٥٢ - المصدر السابق ١/٢٠١
- ٥٣ - المصدر السابق ١/٢٥٥
- ٥٤ - هو انس بن مالك الانصاري صاحب رسول الله وخادمه روى عنه سماعا توفي سنة ٩١ هـ انظر طبقات ابن الجزري ١/١٧٢
- ٥٥ - المحتسب ١/٢٩٦
- ٥٦ - المصدر السابق ١/٢٩٦
- ٥٧ - المصدر السابق ٢/١٩٢-١٩٣
- ٥٨ - المحتسب ١/٢٤٤
- ٥٩ - سورة يوسف ١٠٨
- ٦٠ - المحتسب ١/١٠٩
- ٦١ - سورة البقرة ١٢٩ ، ١٥٩
- ٦٢ - المحتسب ١/١٤٨
- ٦٣ - سورة البقرة ٢٨٢
- ٦٤ - المحتسب ١/٢٥٥
- ٦٥ - سورة الاعراف ٥٧
- ٦٦ - المحتسب ١/٢٦١
- ٦٧ - سورة الاعراف ١٦٠
- ٦٨ - المحتسب ١/٣٣٠
- ٦٩ - سورة هود ١١٣
- ٧٠ - المحتسب ١/٣٥١

مكتبتنا العربية

- ٧١ - المصدر السابق ٦٦/٢ .
- ٧٢ - المصدر السابق ٧٣/١ .
- ٧٣ - المحتسب ٢٦٨/١ .
- ٧٤ - سورة الاعراف ١٨٧ .
- ٧٥ - المحتسب ٢٤٦-٣٤٥/١ .
- ٧٦ - المحتسب ٨٣/١ .
- ٧٧ - البقرة ٥٥ .
- ٧٨ - سورة طه ١٣١ .
- ٧٩ - المحتسب ٤٠/٢ .
- ٨٠ - المحتسب ٧٦/١ .



مركز تحقيقات كافيوتير علوم اسلامي

مكتبتنا العربية



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی